غرس القيم النبيلة

عبده جحيش

□ يقال أسوأ من تطبيق المبادئ الخاطئة التطبيق الخاطئ للمبادئ الصحيحة وأي كان الأمر فإن الحقيقة الثابتة تقول : ان البدايات الصحيحة تؤدي الى نتائج صحيحة حتما، هذه النتيجة كانت خلاصة دراسة قمت بها اثناء زيارتي (الماليزيا) صيف عام ٢٠٠٤م حيث استغليت هذه الزيارة لدراسة التجربة الماليزية التي يجمع الكثير من الخبراء ان هذا البلد الذي كان يطلق عليه قبل ربع قرن «مستنقعات آسيا» قد حقق من الانجازات التنموية ما لم تستطع كثير من الدول إنجازه خلال قرن كامل أو أكثر، وأجمل مافي هذه التجربة الرائدة هو اهتمامها بـ(الانسان) باعتباره هدف التنمية ووسيلتها.

إن الزائر لماليزيا يندهش لما اصبح عليه هذا البلد الذي كان يوصف بـ(المستنقع) ليصبح وصفه اليوم بـ(آسيا الحقيقية) كيف تم ذلك ؟ الاجابة ليست صعبة انها تمت وفق ارادة واعية وواقعية واستمدوا الوعي من معرفة الواقع الذي يقول:

«نحن شعب ليس لدينا ثروات نادرة أو استراتيجية يمكن ان تأتي علينا بمداخيل كبيرة كما هو حال دول الخليج التي تعتمد على دخلها القومي من عائدات النفط» ،كان الواقع الماليزي يقول: (نحن الجنة الاستوائية ذات الجمال الخلاب والثقافات المتنوعة والشعب اللطيف) ولكن هذا كله لايكفي فنحن في أمس الحاجة الى رأس المال الذي سيخرجنا من هذا المستنق ويوصلنا الى التقدم، إذا لابد من الانفتاح على العالم والدخول معه في شراكة ولكن بدون تبعية أو ارتهان في احضان المول وسياسته قرنوا الشراكة المالية بأسلوب التكنولوجيا الحديثة في العملية التنموية.. كانت البداية صحيحة.. فجاءت النتائج صحيحة.. قبل سنين مضت تعرضت الدول الاسيوية الأكثر تطورا لهزة اقتصادية عنيفة اعلنت الكثير من الشركات والبنوك وبيوت المال والتمويل إفلاسها إلا التجربة الماليزية بقيت صامدة تواصل نهوضها التنموي بخطى واثقة ويعود السبب في ذلك الى حسن تعامل الحكومة الماليزية مع من شاركوها في عملية التنمية من مستثمرين وتجار ورجال اعمال سواء كان هؤلاء الشركاء في عملية التنمية من الاجانب أو أبناء الوطن ولهذا سارت عملية التنمية وفق ماخطط لها وعم الخير الجميع وطناً ومواطنين ومستثمرين.

وتواصلاً لهذا النجاح وخوفاً على الوطن والمواطن نقلت إلينا وكالات الأنباء من ماليزيا الخبر التالي: (دشن رئيس الوزراء الماليزي السيد عبدالله بدوي حملة قومية على مدى خمس سنوات تهدف الى غرس القيم النبيلة في نفوس الماليزيين منبهاً الى ان زيادة الثراء المادي مع غياب القيم أديا الى سقوط حضارات عديدة) كان هذا هو أصل الخبر كما ورد من وكالات الأنباء ولنضع خط احمر تحت كلمتي (زيادة الثراء وغياب القيم) ان هذا الخبر أو التحذير يذكرنا كيف دمر العرب انفسهم عندما حلت عليهم الثروة المالية في عصر الحقبة النفطية وهي الفترة الواقعة بين عامي ٧٤-١٩٩٠م حيث شهدت هذه الحقبة ارتفاع اسعار النفط من ١٠ دولارات الى ٥٠ دولاراً عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣م فماذا عمل العرب بتلك الثروات؟؟ انهم لم يستغلوها في عملية التنمية الحقيقية، لقد استغلوها اسوأ استغلال، استغلوها في حروب بعضهم البعض حروب الخليج الاولى وحرب الخليج الثانية ثم حروب الخليج الثالثة الى جانب ذلك كان العرب ينفقون اموالا باهظة على ملذاتهم وملذات أبنائهم وخاصاتهم وكانوا يقضون معظم ايام السنة في المصايف الغربية ويساعدون في بقاء حدائق الحيوانات في مدن الغرب ومنهم من كان يتطوع بعلاج كلب الممثلة (فلانة) وقطة زوجة رئيس حكومة (لوكسمبرج) ..الخ.

■ ألم يخسر العرب قيماً كثيرة بسبب ذلك ؟ بحيث أصبحنا اليوم نشاهد الكثير من الاقطار العربية تآكل من الداخل وامتد هذا التآكل الى التفكك الاسري ؟ الم يصبح الجشع واللهث خلف المادة لدى الكثير أهم من القيم الاخلاقية؟

لقد تحولت وتبدلت لدينا مفاهيم القيم، فالسارق والناهب للمال العام أصبح في عرف الناس اليوم شاطراً وأحمر عين، وأصبح الشريف ومن يتق الله ويعزف عن النهب العام يوصف بأنه بليد واهبل بل وجبان..

إذاً هل أصبحت (العفة) والزهد عملة صعبة قليلة التداول في هذا الزمان؟ اعتقد ذلك .. وأحب أن أؤكد أن التعليم وحده لايكفي لنشر قيم نبيلة وسلوك محترم بدليل ان كثيراً من الهبارين هم من المتعلمين.. إذاً كل العرب بحاجة إلى خطط خمسية وليس خطة واحدة لغرس قيم نبيلة، نحن بحاجة الى تعلم حس حضاري يدلنا كيف نتعامل مع بعضنا البعض وكيف نحمي بعضنا البعض وكيف نبني مجتمعا جديدا بقيم جديدة.

■ تأملات :

– الناس لايمكن أن يتساووا جميعا في القوة.. لكنهم يمكن ان يتساووا في الحرية.

– رجل الاخلاق لايتغير بتغير مركزه.

– رأي الآخرين فيك أهم كثيرا من رأيك الخاص بنفسك.

أين الرقابة الصحية؟

عبدالقوي منصور المغربي

■ بما أن وزارة الصحة العامة والسكان ومكاتبها في عموم محافظات الجمهورية تقوم بمنح تراخيص تسمح بفتح عيادات للاسعافات الاولية فإنه من المهم جدا أن تقوم الوزارة ومكاتبها بمتابعة نشاط تلك العيادات ومدى التزامها بممارسة العمل المناط بها دون التدخل في أي مجال آخر خارج اختصاصها .

لا أن تقوم الوزارة ومكاتبها بمنح التراخيص فقط .. ثم تترك مالكي تلك العيادات كلاً يعمل على هواه وبالطريقة التي تضمن له الكسب السريع والسهل .. دون الاخذ في الاعتبار ما قد يترتب نتيجة تلك الممارسات من تدهور لصحة من يتم الكشف عليهم في تلك العيادات .

حيث أن بعض مالكي العيادات يقومون بممارسة جميع الاختصاصات .. ابتداء بقيامهم بتشخيص المرض .. وانتهاء بوصف الدواء بطريقة جديدة وحديثة ومختصرة جدا وغير مكلفة في نفس الوقت.

فهم يكتفون بوضع إحدى يديهم على منطقة الألم ثم يقومون بتوجيه بعض الاسئلة للمريض بطريقة توحي للمريض بأن لهؤلاء خبرة كبيرة وباعاً طويلاً في مهنة الطب مستغلين طيبة المواطن البسيط الذي يأتي اليهم بمريضه وهو متفائل وغير قلق .. لعلمه أنه سيحصل على الدواء بصورة سريعة وغير مكلفة بعيداً عن اجراء الفحوصات والذهاب الى المختبرات إضافة الى مجانية تشخيص الحالة المرضية، بمعنى انه لا يدفع سوى قيمة الادوية فقط غير مدرك ان المبلغ الذي يقوم بدفعه لأي طبيب قد تمت إضافته على قيمة الدواء .. فبعض اصحاب العيادات الخاصة بالاسعافات الاولية يبيع الابرة التي لا تتجاوز قيمتها مائة ريال بثلاثمائة ريال أو أكثر .

ربما يقول البعض ممن لديهم أموال طائلة انه لا ضير في أن يضيف مالكو العيادات بعض الريالات على قيمة الأدوية التي يبيعونها مقابل خدماتهم وأن الاضافة مشروعة .. وقد يكونون على حق.

إلا أن من الواجب الاخذ في الاعتبار ظروف المعسرين من الناس وهم أغلبية .

كما أنه لزاما على الجميع أن يدركوا أن هؤلاء يقومون بممارسة أعمال ليست في مستواهم واختصاصات لم يدرسوها او يتعلموها .

فهم تعلموا فقط كيف يقومون بضرب الإبر التي يتم وصفها للمريض من قبل طبيب مختص، وكيف يقومون بتطهير الجراح وتضميدها لفترة مؤقتة يتم خلالها إيصال المريض أو المصاب الى الطبيب المختص ايضا لا أن يتدخلوا في ما لا يعنيهم .. تلك هي بعض الممارسات التي يقوم بها بعض مالكي عيادات الاسعافات الأولية والتي من أكثرها وأعظمها خطورة على حياة الانسان القيام بوصف الأدوية دون معرفة أو دراسة أو خبرة تخول لهم ذلك.

إن من الأولويات التي يجب أن تضطلع بها وزارة الصحة العامة والسكان ومكاتبها .. الاهتمام بصحة الانسان من خلال القيام بردع من يقومون بالعبث والاساءة الى مهنة الطب وايفاقهم عند الحدود اللازمة التي على أساسها تم منحهم التراخيص.

فحرام ان يقوم من تعلم «ضرب الإبرة» بمزاولة عمل من شاب رأسه وهو يتعلم الطب .

ماذا يدور بين النهرين؟

إبراهيم بن حمود الصبحي (●)

● ما الذي تحقق للعرب؟ وما الذي لم يتحقق لإسرائيل؟ عشرات السنين والعرب يحملون قضاياهم على أكفهم تارة ينوء بهم حملها وتارة يدعونها جانباً ليرفعوا عنهم وعثاء السفر. كما حملها شاعر الثورة الفلسطينية عبد الرحيم محمود حيث يقول:

سأحمل روحي على راحتي
وأهوي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق
و إما ممات يكيد العدا

تحطمت أحلامهم في أن تكون لهم وحدة طالما تغنوا بها وأمجاد تلذذوا بذكرها ودولة من المحيط إلى الخليج ذهبت كلماتها في مياه المحيط والخليج. فلا المحيط بدا أطلسياً ولا الخليج غدا عربياً. ورحنا نردد :

أخي جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفداء

منذ الخمسين بل منذ الأربعين من القرن الفائت والثورات والانقلابات العربية تتوالى من حسني الزعيم في سوريا إلى ثورة مصر والجزائر إلى إطلاق سراح الملك محمد الخامس رمز التحرير المغربي الجزائر اليوم على مفترق طرق تنشد الأمن وتصلي من أجل الاستقرار اجتياح إسرائيلي للبنان ومذابح صبرا وشاتيلا وقبلها دير ياسين. والآن مذابح الفلوجة والرمادي وكركوك والموصل. يتصارع القوم على مصلحة العراق ويتفقون على مصلحة الغير. اليوم نسمع عن مسلمين ومسيحيين وأكراد وآشوريين وتركمان وسنة وشيعة وحوزة شيعية ومثلث سني كانوا نسيجاً واحداً هو عراق العشرة آلاف سنة من تاريخ مجيد وحضارة إنسانية رائعة. عندما اتفق العرب كسبوا الرهان وعندما اختلفوا ووهنت عزائمهم تفرقوا أيدي سبأ.

لا تجد بلداً عربياً إلا وأبتلي إلا من كتب الله له السلامة وأمريكا تبحث عن السلامة التي لم تجدها حتى في إفريقيا قارتها التي تحتضنها منذ ملايين السنين. لبنان يكافح من اجل أن يستعيد مزارع شبعا من إسرائيل وسوريا ضرب عليها سور من المقاطعة تناضل سلمياً من اجل استعادة الجولان. العراق لاول مرة يقع تحت الاحتلال الأممي الرسمي بقرارات من الأمم المتحدة وهي الداعية للسلام. احتل العراق من اجل تنظيفه من أسلحة الدمار الشامل ومنها صدام حسين . سلاح بيولوجي تحول إلى هوس سيكولوجي مثلما هو اسامة بن لادن هاجس وحلم مؤرق يطارد الغرب وأمريكا باسم الإرهاب ويطالبهم بسداد فواتير قديمة لم يتم إغلاق حساباتها.

الإمارات فقدت قائداً من قادة هذه الأمة الذين يتحلون بالحكمة والصبر. وبعده خسر العرب آخر المقاتلين واصدق المناضلين بعد عبدالناصر. لا أريد أن أتلاعب بالخريطة السياسية للعرب لكنني أحاول أن أجد منفذاً أو بصيصاً من أمل أضع عليه إصبعي ليخرجني من هذا النفق المظلم الذي دخل فيه العرب و سلواي قول الشاعر:

ضاقت فلما أستحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

هل خرجنا فعلاً من دائرة اليأس إلى فرجة الأمل وفسحة الانفراج. هل أذن الفجر بانطواء ليل طويل على صبح مشرق بالأمل والتفاؤل. نعم لمصلحة من يسكت العرب عن هذه المصائب المتلاحقة وكأنها شريط وثائقي يحكي حوادث متعاقبة من الدمار والخراب والقتل وسفك الدماء. وهل بقيت في العرب دماء حتى تسفح. أما كفى خراب في العراق ودمار في فلسطين. ننادي بانتخابات نزيهة يشرف عليها الاحتلال. هناك يطلب الفلسطينيون من إسرائيل أن تسمح لمواطنيهم في القدس الشرقية أن ينتخبوا أبا مازن ومرشحين (مستقلين). وهناك في العراق يطلب علاوي من قوات التحالف حماية صناديق الاقتراع. هل تتكرر مأساة أفغانستان التي انتخبت قرضاي أو انتخابات أوكرانيا. هل فوضى أوكرانيا نذير شؤم . أو هدوء أفغانستان هو نهاية أزمة أم استراحة محارب. أتنجح انتخابات العراق في ظل خلافات طائفية وعرقية وجغرافية وسياسية. ومن يضع مصلحة العراق على رأسه قبل أن تطأها أقدام المقاتلين في الفلوجة رهن أهوائهم. هل فعلاً اجمع العراقيون على مصلحة عليا وتغليب المصالح الفردية أو الحزبية أو الانتمائية هل أجمعت القيادة الجديدة في العراق على أن تخرج العراق من دائرة الظل والاستقطاب إلى دائرة المشاركة والعمل الجاد. أما آن لهذا الليل أن ينتهي وللصبح ان ينفجر وللقيد أن ينفطر. وهل أجمعت فلسطين بعد غياب قيادتها وزعامتها التاريخية على أن تثبت للعالم أن العرب يمكن أن يفاوضوا ويحاوروا ويمكن أن يصبروا وينتظروا ولا يملوا – لكن ما لايمكن هو أن يفرطوا في حقوقهم مهما صغرت في أعين الآخرين. وليس من حق أي فلسطيني اليوم أن يفرط في القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي محمد عليه الصلاة والسلام وأرض الأنبياء والرسل ومرقدهم ومثواهم. لا تفريط في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة على حساب حائط المبكى أو هيكل سليمان المزعوم. إذا كان العرب وكل العرب قد فرطوا في فلسطين تحت ظل احتلال قائم واعتلال للفكر والجهد كاتم ونائم، فإن الله وحده سيحاسبهم على ذلك. لكن حسب علمنا ان أبا عمار لم يفرط في القدس ولا في حق اللاجئين في العودة. وقيل ان أبا عمار عندما همس في أذن مودعيه في رام الله في آخر إطلالة له على ارض أجداه قال: أمانتكم القدس الشريف أمانتكم بيت الله في المسجد الأقصى المبارك بقية أنبيائه ورسله على الأرض. فهل حفظت القيادة الفلسطينية هذه الوصية وحافظت على العهد. هل سيحافظ علاوي وصحبه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما خرج مهاجراً مع زوجته هاجر صوب الحجاز. قال: (ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمون). استأمن إبراهيم الخليل العراق ليحافظ عليها أحفاده من بعده وما عرفوا لماذا ذهب خالد بن الوليد والمثنى بن حارثه وسعد بن أبي وقاص للعراق. ذهبوا برغبة نبوية شريفة من النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليحافظ على عهد جده خليل الله إبراهيم .

ما بالنا لا نعي دروس التاريخ. هل وعى الفلسطينيون لماذا ذهب سيدنا عمر بن الخطاب بناء على خطاب وصله من قائده أمين هذه الامة أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهما وعنا أجمعين. ذهب ليحافظ على عهد محمد صلى الله عليه وسلم بان يحرر أرض الرسالات والنبوات هكذا أوفى القادة وبروا بوعد نبيهم ذلك قول الله عز وجل: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا). هل فعلا زعامات العراق وفلسطين ما بدلوا تبديلا. وهل فعلا كل القيادات والزعامات العربية ما بدلوا تبديلا. من الصعب أن نتعامل مع واقعنا المعاصر بعيداً عن ماضينا في ظل عولمة تفرض علينا قيماً اضعف وارخص من قيمنا. (لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ولو تمعنا في اللفظ والمعنى (ملتهم) ولم يقل دينهم – لان الله عز وجل علام الغيوب. كان يعرف بانحرافهم وضلالتهم وسيحاولون في المسلمين لاتباع هذه الضلالة. أما ملتهم فتشمل كل شيء في حياتهم حتى لباسهم. وهاهم يحاربوننا لنزع الحجاب وكأنه آخر ما تبقى من حياء فينا لينزع. هل وصلنا إلى آخر المطاف وهل بلغنا ذروة الضعف حتى نعود الى القوة. الكمال والتمام هل يعقبه ضعف أم هو ضعف ذاته وهل هو بشير العودة للقوة أم الاضمحلال. هكذا يقرأ سيدنا عمر بن الخطاب وهو افضل من قرأ القرآن وتدبره. يقرأ مفهوم الآية الكريمة آخر ما نزل من القرآن: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا). في خطبة الوداع يبكي وينتحب ويسمع نحيبه بعض من الصحابة الكرام وتسيل دموعه بغزارة حتى تخضب لحيته وتنزل تتدحرج لتغسل الأرض من تحت قدميه فيشفق عليه سيدنا وإمامنا أبو بكر الصديق ويسأله ما يبكيك يا أبا حفص؟ هل استشعرت امرا فأبكاك؟ حساسية المشاعر توازي عظمة الموقف وروعة التأمل في مصير الأمة. لله درك يا أبا حفص ولله درك يا عتيق يا أبا قحافة ويا لجلال الموقف ومهابة المحنة لو حلت . قال عمر: ما كمل شيء يا أبا بكر إلا وبدا نقصه. مثل الهلال يبدو ضعيفا ويبلغ تمامه وكماله ليعود ضعيفاً ويختفي. هذا إيذان برحيل رسول الله عنا. نعم لم تبلغ الامة ضعفاً في كل شيء مثلما وصلت إليه اليوم. وهذا ما خاف منه علينا الرسول عليه الصلاة والسلام تتكاثر علينا الأمم فنذهب كالغثاء لنصبح حكاية يتندر بها المغرضون. وتضيع الأوطان منا ونحن صامتون لانحرك ساكناً.

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) لابد من وقفة مع النفس لتقدير حجم الخسائر على امتنا منذ أن ابتليت بشيء اسمه حضارة الغرب وتقدم الغرب وعلوم الغرب. وليتنا فتحنا الكتاب من وجهه الصحيح فتحناه مقلوباً و أخذنا اسوأ ما في الغرب وعدنا لنحاكمهم لا لنحاكيهم عن ذكاء ومعرفة. ترف فينا زائف وعقول أصيبت بالخمول وأبصار تعاني من قصر النظر و أسماع أصابها وقر. نرمي بأخطائنا على الآخرين. ونسأل ماذا استفاد العرب؟ وماذا استفادت إسرائيل؟ هل انتصرت فعلا إسرائيل على العرب؟ هذا السؤال الأحرى أن يجيب عليه الإسرائيليون ماذا تحقق لهم بعد خمسين عاماً؟ دولة آمنة مستقرة اقتصاد حر قوي – أمة متماسكة هل يأمن الإسرائيلي على نفسه. هل حقق له جدار الفصل الطمأنينة. إسرائيل كبناء شاهق أساسه على أرضية ملح تتآكل يوماً بعد يوم حتى ينهار هذا البناء وهذه حقيقة. والسلام لن يتحقق لا للعرب ولا لإسرائيل والسلام المفروض بالقوة وبتهديد السلاح إنما هو سلام هش. هناك مساحة وفسحة واسعة أن يتعايش اليهود والنصارى والمسلمون على ارض الرسالات التي اتسعت لهم في يوم من الأيام – ولكن ضيقها اليهود بشعاراتهم وممارساتهم. نعم كسب الفلسطينيون تماسكهم واشتد تلاحمهم وانحسرت أمنيات اليهود من النيل إلى الفرات وكأننا عدنا لخمسين سنة مضت دون أن نستفيد من دروس التاريخ وعبر الزمان.

(●) كاتب عربي..

آفاق

كوميديا سوداء!!

□ ما يجري في العراق مهزلة من نوع «الكوميديا السوداء»، وما سيجري – والتخطيط له يمضي على قدم وساق – «تراجيديا» عاصفة قد تكون لها بداية ولكن لا أحد بمقدوره التنبؤ بالنهايات والمآلات.

الذين يرفضون الانتخابات بالقتل والتدمير والسعي إلى إشعال حرب أهلية ليس لديهم أي برنامج يدعون إليه، وبرنامجهم الوحيد هو الرفض لكل شيء وبأي شيء والتضحية بالغالي والنفيس على مذبح وهمي لا يراه أحد سواهم، والذين يحثون الخطى نحو انتخابات ملتبسة قد تفتح أبواب جهنم لا أبواب الجنة الأمريكية الموعودة، يبدون في سباقهم مع الزمن كمن يسابق أجله وهو غافل، لا يدري أن خسارته أكبر إذا فاز، وأن فوزه أقرب إليه إذا خسر.

● الوفاق الوطني، الذي دعا إليه العقلاء وخرّبه الحمقى، دخل اليوم في نفق مظلم لا يؤنس المشاة فيه بصيص نور في نهايته، وقد كان الأمل في الديمقراطية كبيراً لجمع المختلف وشد لحمة المؤتلف، ولكنها جاءت على شاكلة أهلها : ديمقراطية للتقسيم لا للتوحيد، للانتقام لا للتسامح، للتسلط لا للمشاركة، لتغليب لون واحد لا للتعدد، ولذلك يبدو شركاء الديمقراطية وقد أمسكوا ثوبها من أطرافه كمن يمزق النسيج وهو يحاول أن يستأثر بأكبر قطعة منه.

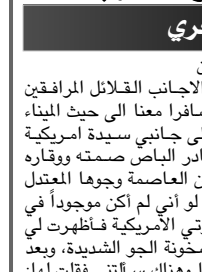

فضل النقيب

ومثل كل المهازل سيستمر حوار الطرشان حتى يجعل الجميع أقزاماً يحتاج كل واحد منهم إلى دعم الغرباء لكي يطول عن صاحبه ملليمتراً واحداً ليصرخ في الغوغاء : أنا الأعلى.

● واشنطن تبدو من بعيد عاصمة للفرح، كأنها تبعد عن بغداد مليون سنة ضوئية، فيما هي هناك غارقة في المستنقع إلى عنقها، ومعها بعض الدول التي تئن ليل نهار باحثة عن منفذ للهرب، كأنما تتوقع «تسونامي» جديدة «إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت أثقالها».

وبناءً على ذلك نجد الرئيس الأمريكي يتحدث عن الحرية والرسالة الإلهية لأمريكا، فيما وزيرة خارجيته الآنسة كونداليزا رايس تدافع عما مضى وعما هو آت وتعلن التزامها بالحق، كل الحق، ولا شيء غير الحق، فيما وزير الدفاع رامسفيلد أخلد إلى الصمت الرهيب بعد أن ردّت إليه الروح وتحولت أخطاؤه إلى إضاءات ، والتهديد بإزالته إلى تثبيت لإدارته، وكل شيء «تمام في تمام»، ولم يبق سوى رفع الستار ليعود الصخب إلى المسرح، لأن المتفرجين الذين تعودوا الحبكات القوية سئموا سياسة «لا حرب ولا سلام».

إنها مهزلة فعلاً من نوع «الكوميديا السوداء» : الزرقاوي يعلن الحرب على الانتخابات حتى آخر عراقي، والأكراد سيعلنون إلقاء القبض على كركوك قريباً، لأنه «ما حكّ جلدك مثل ظفرك»، الأمريكيون سينقلون تمثال الحرية من منهاتن إلى البصرة، الجلبي يتهم الشعلان بتهريب مئات ملايين الدولارات، والشعلان يحرص على إعلان موافقة الأمريكيين على ذلك، مهدداً خصمه بتسليمه إلى الإنتربول، إيران تراقب من تحت الماء، وسوريا تطلب الخبر اليقين من جهينة الروسية، وتركيا تتحسس أطرافها في ديار بكر والأناضول.

هل فهمتم شيئاً؟

رحلة في باص الغرباء !!

حسين جمال البكري

الإهداء الى صديقي أبو حسن

● كنت واحدا من السياح الاجانب القلائل المرافقين لركاب ذاك الباص الذي كان مسافرا معنا الى حيث الميناء الافريقي القديم، وقد جلست الى جانبي سيدة امريكية هادئة طيبة الملامح، وبعد أن غادر الباص صمته ووقاره مندفعاً بأقصى سرعته بعيداً عن العاصمة وجوها المعتدل الجميل شعرت بالضيق وتمنيت لو أني لم أكن موجوداً في هذا الباص، وهذا ما قلته لجارتي الأمريكية فأظهرت لي ايضا ما تعانيه هي ايضا من سخونة الجو الشديدة، وبعد ان تبدلنا اطراف الحديث من هنا وهناك سألتني فقلت لها: أنا مقيم في اليمن مذ سنوات، هذا البلد الجميل قريب لم لا تقومين برحلة اليه .. إن زيارتك لحضارة صنعاء القديمة فيها متعة ومعرفة مفيدة حتى ان جوها العام جميل ومعتدل .. ومن خلالها سوف تتعرفين على الشعب اليمني الطيب الكريم الودود، قالت : سأفكر بالأمر، وبعد لحظات صمت همست: أنا مسرورة بمعرفتك يافلسطيني .

– وأنا أيضا مسرور بمعرفتك وصداقتك أيتها السيدة الامريكية الرائعة، نعم كم أنت رائعة في ثقافتك وطيبتك وتواضعك .. أنا جد معجب .. فكرت ثم التفتت نحوي قائلة : إذن لماذا تكرهون اليهود ؟.

– لطفا يا سيدتي نحن العرب لا نكره اليهود كدين ونحن الفلسطينيين على وجه الخصوص كانت لنا علاقات محبة حميمة مع يهود بلادنا العرب الى أن طردنا من وطننا الى الشتات ظلما وقهراً، نحن ياسيدتي (ضحايا) لغطرسة الآخر المستكبر .. اما السلام فنحن أهل السلام، وأرضنا فيها مهد السيد المسيح ابن مريم عليه السلام، لكن عدونا لا يرحمنا ويعمل على قهرنا وإذلالنا وعلى إبادتنا .

– هل أفهم من كلامك أنك أو أنكم لا تكرهون الامريكان؟.

– إذا أحبتنا أمريكا قولا وعملا حتما نحن سوف نبادلها المحبة والوفاء قولا وفعلاً، نحن نريد سلاما عادلا يعيد لنا حقوقنا المشروعة، وفجأة!

قالت مستغربة..

توقف الباص .. ماذا جرى!!

قلت – انظري أمامك يوجد مطعم شعبي كبير .. هيا للنزول، ثم همست في أذنها: ليتك تسمحين لي ان أدعوك للغداء على حسابي

قالت : أنا معي فلوس !!

قلت : ليست المسألة هكذا .. أنا سوف أشعر بالسعادة لو دفعت عنك، هذا كل ما في الأمر، هيا نحن الآن أصدقاء أو لسنا كذلك؟

قالت: نعم أنا وأنت يافلسطيني في رحلة صداقة رائعة

قلت : سأكتب يوما موضوعاً صحفيا عن رحلتنا هذه، وسأكتب عنك أيضاً.

قالت : ها إذن أنت كاتب صحفي

قلت : سررت جدا بمعرفتك ايتها السيدة الامريكية وكم انت رائعة، وبعد ان تحدثنا قليلا دخلنا المطعم واشتريت لي ولها الماء البارد والسندوتشات الافريقية الساخنة وبعض علب العصير، ثم خرجنا الى الساحة نأكل ونشرب في صمت .. وكانت عيون تلك الصديقة الامريكية تنظر الى وجهي المكسور الحزين، تنظر اليه بكثير من الصدق والمحبة والتعاطف والصداقة، تماما كما كنت أشعر نحوها كيف لا !

(إنها روح إنسانيتنا الجميلة الناصعة البياض!!)

وبعيداً عن السياسة!!